النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

حلقة « مفاهيم الحرية »

في ٢٣ و ٢٤ من الشهر الماضي ، اقام المركز الأقليمي في الشرق الأوسط للمنظمة العالمية لحرية الثقافة حلقة دراسات عامة حضرها عدد من قادة الفكر والأدب في لبنان .

وكانت المحاضرة الاولى في هذه الحلقة للدكتور كريم عزقول الذي تحدث عن « المفهومين الديموقراطي والشيوعي للحرية من خلال الاعلان العالمي لحقوق الانسان » . وكانت المحاضرة الثانية للاستاذ غسان تويني الذي تناول « مواضع الضعف الكامنة في المجتمعات الحرة واسس عدم استقرارها » . وتحدث الدكتور نقولا زيادة في موضوع عنوانه « العربي المعاصر شخصية غامضة » . ثم حاضر الاستاذ جوزيف مغيزل عن « القومية ، واقعها ومستقبلها » . واما الاستاذ كمال جنبلاط الذي اختتم المحاضرات ، فقد كان حديثه عن « دور القومية في تقوية المجتمعات الحرة او في تقويضها . »

وقد تبين ان محاضرات الاساتذة عزقول وتويني وجنبلاط هي ترجمة لمحاضرات القيت في مؤتمر المنظمة العالمية لحرية الثقافة في ميلانو . اما محاضرتا الاستاذين زيادة ومغيزل ، فقد كان فيهما كثير من التجني على القومية العربية والانسان العربي ؛ وقد نوقشت هاتان المحاضرتان مناقشة عنيفة من قبل المشتركين في الحلقة .

والفكرة التي أملت اقامة هذه الحلقة هي فكرة طيبة دون ريب ، ولكن هذه الحلقة لم تكن منظمة التنظيم الذي يؤمن فائدة ملحوظة للفكر العربي في لبنان ؛ فليس لموضوعاتها خط تسير فيه بحيث يفضي الى نتائج واضحة ؛ وهي لم تتناول من القضايا ما يمت بصلة مباشرة الى حرية البلاد العربية ، ولم يعالج محاضروها مثلا قضية الحرية الفكرية وما تعانيه من اضطهاد في بعض الاقطار . . فبالرغم من ان طرح الموضوعات ومناقشتها ، بمناسبة وبغير مناسبة ، امر ليس من شأنه الا ان يفيد ، فقد كنا ننتظر ان تتناول محاضرات هذه الحلقة شؤوننا الفكرية وان تبتعد عن النظرية والتجرد لتعالج قضايانا بالذات معالجة اقرب الى الواقع وابعد عن التجني وادنى الى الموضوعية .

قضايانا . . . في حفلة مدرسية

تقيم جمعية المقاصد الاسلامية في بيروت حفلة خطابية كل عام يتنافس فيها طلاب كليتي المقاصد للبنات والبنين لاحراز جائزة الأستاذ محي الدين النصولي .

ويمكن ان تعتبر هذه المباراة السنوية لوناً طريفاً من الوان الموسم الادبي في لبنان ، لاسيما وان المتبارين يتناولون فيها ، على حداثة سنهم ، اهم موضوعات الساعة ويعالجون اخطر القضايا الفكرية والقومية .

وقد اقيمت هذه المباراة الخطابية في الشهر الماضي وكان لها صدى بعيد في الاوساط ، لأن الخطباء قد عالجوا فيها مختلف القضايا التي تهم العرب فاثبتوا ان الوعي قد تغلغل في صفوف طلاب الكليات والمدارس ، وان هذا الوعي الذي يترعرع طفلا في صدورهم لابد ان ينمو ويكبر حتى يصبح مارداً جباراً حين يخرجون الى الحياة العملية .

وقد جاءتنا من الأديبة الفاضلة السيدة اسمى طوبي كلمة تعلق فيها على هذه المباراة ، رأينا ان ننشرها في هذا الباب :

رأيت الروح العربية تغلي في العروق ثم تتفجر على شكل خطب تلقى : اللغة العربية الفصحى – القومية العربية – المرأة العربية – الوحدة العربية – كلها مواضيع عالجتها شبيبة الكليتين من الجنسين ، وعالجتها باتزان ، واطلاع واسع كأن الخطيب او الخطيبة من هؤلاء يتفهم الوضع كسياسي تمرس بالسياسة !

وقد حملني الخيال بعيداً بعيداً ، وتذكرت يوم كانت الدنيا باسرها تعنى بهذا الفن القومي : فن الخطابة ! تذكرت روما .. وخطبة انطونيوس التي جعلت من الشعب الثائر على قيصر المقتول شعباً ثائراً له ؛ وتذكرت الاغريق واساتذة الفن في اثينا امثال ثموستيكلس وغيره . وتذكرتنا نحن ، رأيتنا نتقن هذا الفن حتى ليقف الواحد منا امام ايوان كسرى فيهزه ببلاغته ، وحتى ليتكلم القائد في جنده فيدفع الدم الى الرؤوس ويتركه يغلي في العروق ثم يقود الرجال الذين

اشتات ادبية

* دشن اخيراً في الجامعة اللبنانية منبر لتدريس اللغة الفارسية وآدابها . وقد خطب في حفلة التدشين رئيس الجامعة اللبنانية ، ورئيس جامعة طهران ، وعميد كلية « المعقول والمنقول » – اي كلية الفلسفة – بجامعة طهران ، والدكتور جلال هوماني الاستاذ المنتدب لتعليم اللغة الفارسية وآدابها .

* دعي الاستاذ فؤاد افرام البستاني الى طهران فالقى محاضرة بمناسبة ذكرى مرور سبعمئة عام على وفاة جلال الدين الطوسي .

* فاز القاص اللبناني الناشيء رامز نجيم بجائزة القصة القصيرة في المباراة التي أقامتها La Revue Française باللغة الفرنسية . وسيسافر الى فرنسا على نفقة المجلة التي ستتولى تقديمه الى الاوساط الأدبية .

* ضم معرض الكتاب العربي الذي اقامه النادي الثقافي العربي في اوائل الشهر الماضي عدداً كبيراً من الكتب المذهبية والترجمات وسواها ، وعرف الحضور على الوان كثيرة من النتاج لم يكونوا يعرفونها .

* انتهى الاستاذ جيلبر بيرول ، وهو من المستشرقين الشباب ، من ترجمة رواية « الحي اللاتيني » للدكتور سهيل ادريس الى اللغة الفرنسية . وستتولى احدى دور النشر الفرنسية الكبرى إصدار هذه الترجمة في وقت قريب .

* تستعد « دار الآداب » لإخراج عدد من الكتب الهامة في اول الموسم الادبي القادم ، ابتداء من شهر ايلول (سبتمبر) المقبل .

* ماتزال الطبعة الجديدة التي اصدرتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت لمعجم « المنجد في اللغة والادب والعلوم » تلقى ترحيب الاوساط الأدبية لما تتميز به من غنى واتساع في المعلومات وشمول .

غلت دماؤهم ليفتحوا العالم ..

و لقد قدسناه فناً .. فكانت لنا سوق عكاظ .. ومرت امامي عكاظ والناس من حولي يصفقون وعريف الحفلة يقدم الخطباء . ورأيت هذه الحفلة بكل ما فيها صورة طبق الأصل عن حفلات سوق عكاظ : اليس من الغريب ان نقلد نحن ابناء القرن العشرين اجدادنا اولئك في حفلاتهم الأدبية .. ؟

رأيتهم يقيمون الحفلة في العراء لتتسع الأرض البراح لكل قادم من اية قبيلة كانت ، ورأيتهم يتوافدون الى مكان الاجتماع زرافات ووحدانا .. يفد الرجل منهم وقد التف بعباءته الفضفاضة فوق ثوبه الطويل وتزين بسلاحه .. ولكنه ينزع هذا السلاح ويضعه جانباً قبل ان تطأ قدماه مكان الإجتماع ..كانت عكاظ في نظرهم اقدس من ان يدخلوها مسلحين .. انها الأرض التي تنبت اسمى بذور الفكر البشري .. فهم يرأون بها عن ان يدخلها سلاح لئلا تثور فيها اهواء فتسفك دماء . . وتنتهك قدسيتها .. ارأيت كيف سما اولئك الاعراب بالادب وقدسوا الفكر .. ؟

ويجلس الرجل على الأرض متربعاً ، ثم تفد المرأة فتجلس بجانبه لا حرج عليها ولا استياء ، تأتي لتشترك في الحفلة فتسمع ما يلقى او تلقي او تنتخب عضواً في اللجنة المحكمة . وتجلس هذه اللجنة في صف واحد وامامها الجوائز ... جوائز قدمها ملوك وامراء .. وينهض الخطيب الاول ولا بد ان يكون من الاعلام فيفتتح الحفلة بكلمة شكر ، ثم ينهض الخطيب الثاني وهو في بعض السنين الخطيب المفوه الامام علي بن ابي طالب فيتحدث عن موسم الشعر ، ثم ينهض الثالث وقد يكون النابغة الذبياني فيقدم الشعراء واحداً واحداً .. تماما كما يفعل عريف الحفلة في حفلتنا هذه ، ثم تتناقش اللجنة المحكمة وتناقش ، وتوزع الجوائز ، وتنتهي الحفلة .

افلا ترى معي ان حفلاتنا الخطابية اليوم صورة عن حفلاتهم تلك .. ؟

ولكن ماذا كان يذاع في عكاظ .. اي نوع من الشعر ينشد .. ؟ الغزل .. ؟. وحتى ولو صح فقد كان غزلهم من النوع المترفع الابي الذي لايقبل الايدي ، ويذرف الدموع لترضى الحبيبة .. بل من النوع الذي يقبل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرها المبتسم .

وبالاجمال فقد كان ادب القوة هو الذي يسيطر ، التغني بمفاخرة القبيلة ، شجاعتها، فروسيتها ، إقدامها .. ترفعها عن الخيانة .. وهكذا كل ما يبعث الدم حاراً الى الرؤوس .. كانوا دائماً على استعداد للحرب .. وكانت الحرب حياة او موتاً بالنسبة لهم .. وما كان وقود الحرب وما زال إلا ادباً قوياً موقظاً ادب القوة.. ادب البادية.. الصلب كرمالها، الملتهب كالتهابها، ماأحوجنا اليه !

انما نحن شعوب بجانبها عدو يجثم على قلبها .. وانما نحن شعوب يحاولون وضع الاغلال في يديها وقدميها لئلا تتحرك .. وحرام .. حرام على العبد ان يغني وصليل القيود في اذنيه ..

كان الشباب على المسرح يزأرون .. هذه القافلة المجندة التي تستعد للغد.

وكانت روحي تسبح بعيداً ..تحوم حول الجنوب المجاور الغالي وهي ترد :

انسيناك .. وهل ينسى الاله	عابد صلى له ليل نهار ؟
اهجرناك .. واحداث الحياة	فرقتنا عنك ظلماً واقتدار
اسلوناك .. وفي اكبادنا	يلهب الشوق جحيم الاذكار
قسماً بالتربة الحمراء ارتوت	من دمانا فقدت فوق النضار
ان نعد .. ياأم .. قبلنا ثراك	إن نعد .. ؟ لابد انيدنو المزار

اسمى طوبى

سوريا

لمراسل « الآداب » سعد صائب

معرض لوحات فوتوغرافية

درج الفنان الموهوب الدكتور امين الشريف على اقامة معرض للتصوير الفوتوغرافي في كل عام ، يبرز فيه معالم الجمال المتجلية في طبيعة بلادنا ، ويكشف فيه عن ذوقه الرهيف في اختيار الوجوه المعبرة الحية . ويبدو الدكتور شريف في معرضه الثالث الذي اقامه في « الحلقة الاجتماعية لخريجي المعاهد العالية بدمشق » والذي ضم ثلاثاً وسبعين لوحة ، انه فنان اصيل متمكن، يلم الماماً واعياً باساليب فن التصوير ،ويوفق توفيقاً رائعاً في توكيد التقنية Technique واجادة الوضوح Net في لوحاته،ولعل نجاح صوره قائم على اساس انسجام الوحدة ، إن في تركيب الصورة ، حيث تتآلف الكتل المتباينة في رقعة الصورة او في توزيع الأنوار والظلال . كما هو قائم ايضاً على وحدة الموضوع التي تعبر عن اجزاء الصورة ككل ، فتراه في تصوير الوجوه ، يخلق الجو الملائم لها ، رامياً الى الحصول على التعبير الذي يبتغيه ، دون ان يحفل بمطابقة الصورة او عدمها لاوصاف النموزج . لأنه موقن ان صورة الشخص ، قمينة بابراز ذاتها

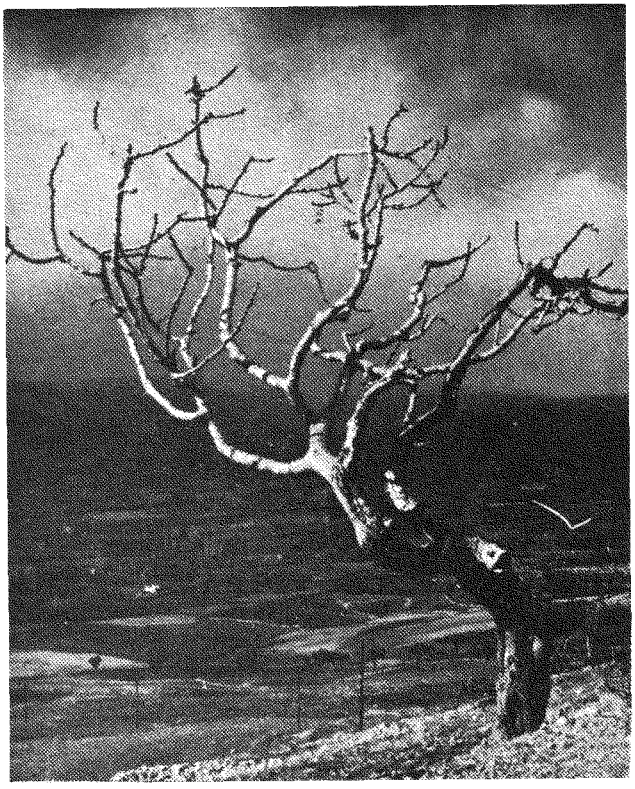

العاصفة تقترب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

وهو في التقاطه المناظر الطبيعية ، يعنى اشد العناية ، بالاضاءة الجانبية او الامامية لأن كل واحدة منها تضفي على الصورة ، نوعاً من العمق ، او البعد الثالث ، يساعد على تجسيم الصورة ، ومنحها قوة وزخماً في التعبير . والظاهرة الغالبة

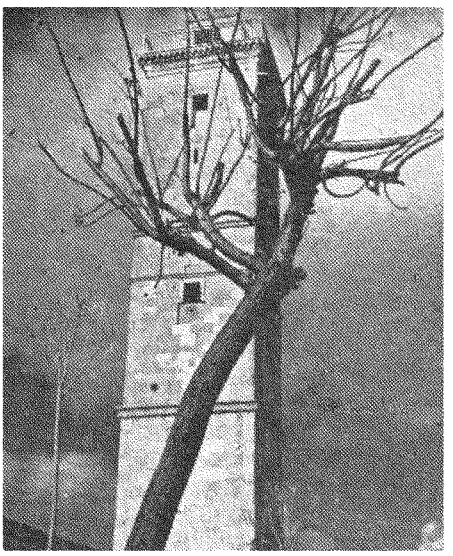

مأذنة قلعة حلب

على فنه –كما يبدو في معرضه– تفضيله وجوه الرجال على وجوه النساء ، لاعتقاده بان وجه الرجل بميسوره اتخاذ تعابير تبرز شخصيته ، اكثر مما تستطيعه تعابير وجه المرأة ، وفي الوقت ذاته فان تصوير وجه الرجل ، يمكنه من استعمال إضاءة عنيفة ، تزيد في قوة التعبير التي ينشدها في صوره .

والحق ، ان الدكتور شريف يعيش اللحظة التي يلتقط فيها لوحاته ، ولعله الهاوي الوحيد عندنا ، الذي تمكن من ابداع لوحات رائعة ، تجلت فيها المقدرة الفنية والموهبة الاصلية ، والذوق الرهيف ، واننا نشير هنا الى بعض لوحاته للدلالة على مقدرته وموهبته وذوقه ! .

فقد حاول في لوحته « العاصفة تقترب » اهتبال لحظة عابرة نفذت فيها اشعة الشمس من خلال الغيوم المتلبدة فانسكبت على بقعة دون بقاع السهل ، مما اظهر التنافر بين الاضواء والظلال ، فاوحى بعتو الطبيعة وتجهمها في يوم عاصف .

كما حاول في لوحته « قلعة حلب » خلق التوازن بين الخطوط الهندسية الصارمة ، والزوايا الحادة التي ابدعتها يد الإنسان ، مع الخطوط الانسيابية المنحنية التي سوتها يد الطبيعة ، فخلقا معاً الانسجام والتآلف والوحدة !

وفي لوحته « غمائم الاصيل » انتزع الفنان اللحظة العابرة عند تلبد الغيوم ، ثم انتقى زاوية تجعل من النخلتين اطاراً يضم موضوع الصورة الاساسي ، مضيفاً عليها العمق اللازم لكيانها .

مع مؤتمر ادباء العرب

اجتمعت اللجنة التحضيرية لمؤتمر ادباء العرب واقرت الموضوعات التالية التي اقترحتها اللجنة الفرعية لتكون مدار البحث والمناقشة في المؤتمر وهي :

١ – وسائل تعريف العرب بادبهم الحديث

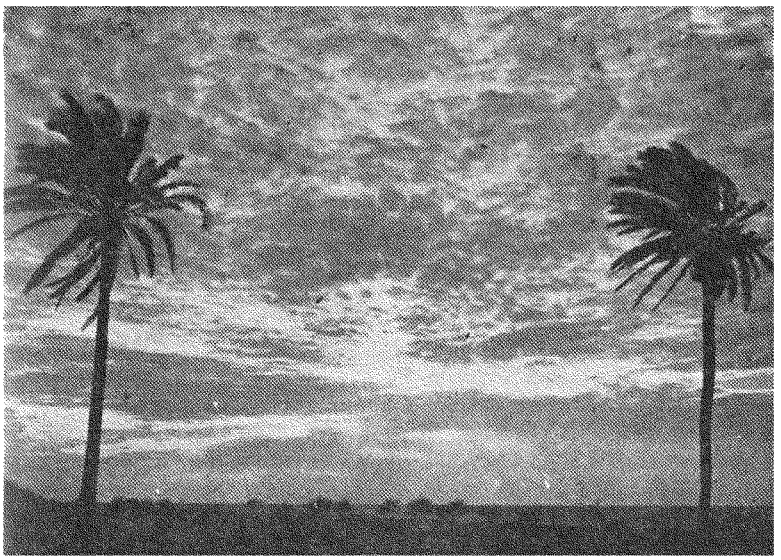

غمائم الأصيل

٢ – مكانة الادب والفنون الجميلة

٣ – مكانة الادب العربي بين الآداب العالمية

٤ – الاديب والناقد

٥ – الاديب والدولة

كما اقرت تشكيل لجنة تنفيذية للمؤتمر ، وقد اجتمعت هذه اللجنة وبحثت في شؤون المؤتمر المختلفة وقررت تشكيل مكتب دائم للجنة المؤتمر ، مؤلفة من السادة : احمد الفتيح ، فؤاد الشايب ، سعيد القضماني .

مكتبة هاشم

شارع سوريا بيروت

تلفون : ٢٦٠٧٩

كتب ادبية – مدرسية – روائية

ادوات قرطاسية

مبيع ومشترى كتب مستعملة

تأميم الثقافة

لمراسل « الآداب » رجاء النقاش

مع ظهور الصناعة ، وميلاد الفكر الاشتراكي ظهرت نزعة التأميم ، فهي على هذا نزعة حديثة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الصناعي المعاصر . والتأميم يعني أساساً تحويل مؤسسة صناعية أو مصدر من مصادر الثروة العامة إلى ملكية شعبية تنظمها الدولة بدل أن تكون تحت سيطرة فردية تتحكم في الشعب . فالهدف الرئيسي من التأميم هو ان تتدخل الدولة لحماية الشعب وطبقاته العامة ، ومن هنا يتحتم لكي يتم التأميم أن يكون نظام الحكم الذي تتركز فيه إدارة الدولة معتمداً على الشعب لا على طبقة معينة لها مصالحها التي تختلف أو تتناقض مع مصالح المجموع . فالتأميم يتم في ظل ديمقراطية سياسية حقيقية تتيح للغالبية الشعبية أن تفرض إرادتها وخطتها على نظام الدولة ، وإلى جانب هذه الديمقراطية السياسية ينبغي أن تتوفر فلسفة اشتراكية في التنظيم الاجتماعي تحول بين الفرد أو المؤسسات الخاصة وبين استغلال المجموع والمتاجرة بمصالحه وحاجاته . وفي ظل هذين الشرطين تولد نزعة التأميم الصحيحة وتشق لها في تاريخ الشعوب الحديثة طريقاً ناجحاً . ومن الواضح أن هذه النزعة تفرض نفسها في المجتمعات الحديثة في الشرق والغرب بنسبة تتفاوت بتفاوت اعتماد تلك المجتمعات على النظام الاشتراكي وفلسفته . وتجد هذه النزعة مكانها بين قوانين الدول الرأسمالية نفسها . فني بريطانيا تحاصر القوانين التأميمية سلطة الأفراد والمؤسسات الخاصة ، وهي وإن لم تكن قد قضت عليها قضاء تاماً فانها ضيقت من امتدادها على نفس الصورة التي كانا عليها في القرن الماضي ، حيث كانت هذه النزعات الفردية مصدراً لعذاب العالم الذي عاني من الاستعمار آلاماً كثيرة عنيفة ما زالت بقاياها تعبث بالمجتمعات المسالمة الآمنة حتى اليوم ، كما كانت هذه النزعات مصدراً لعذاب الطبقات العامة في انجلترا نفسها . فمع نمو الصناعة في القرن الماضي نما الاستغلال والرغبة في امتصاص الامكانيات البشرية بأقل ثمن في سبيل تغذية تلك الرغبات الفردية في الانتصار والربح . وقد وجد هذا العذاب الأليم الذي عاناه المجتمع الانجليزي من تلك الرغبة الاستغلالية رد فعل عنيفاً في الأدب ، حسبنا أن نذكر منه ما كتبه ديكنز في رواياته التي نطق فيها شقاء الأطفال المستغلين والعمال المجهدين بالكثير من الوان الاستغلال الذي ملأ واقع المجتمع في ذلك الحين . كما كان من ردود الفعل ضد هذه النزعة ما قامت به الشعوب المستعمرة من ثورات نضالية عنيفة للتحرر من الاستعمار في كل صوره بعد أن ذاقت منه الآلام والمتاعب التي حالت بينها وبين التطور والنمو طيلة مراحل فسيحة من تاريخها .

في مثل هذه الدول الرأسمالية نفسها بما لها من الماضي الممتلىء بالظلم والاستغلال والحاضر الذي يقاوم — في شعور دائم بالهزيمة — من أجل الاحتفاظ ببعض انتصارات الماضي الظالم ... في مثل هذه الدول تجد نزعة التأميم مكاناً لها بين القوانين والتنظيمات الاجتماعية العامة للثروة والعمل ، فليست النزعة التأميمية مقتصرة على الدول التي أقامت بناءها الاجتماعي في كل تفاصيله على أساس من الفلسفة الاشتراكية ، بل امتدت هذه النزعة إلى بعض الدول الرأسمالية التي لم تجد بداً من الأخذ ببعض المبادئ الاشتراكية وعلى رأسها فكرة التأميم في صورها المختلفة . فالعالم الحديث لم يعد يستطيع أن يتنكر لهذه الأفكار أو أن يرفضها رفضاً قاطعاً نهائياً ، بل إنه يعتمد عليها في تنظيماته المختلفة بنسب متفاوتة .

ولم تقف حركة التأميم عند حدود العالم المادي بل تعدته الى « الثقافة » فظهرت نزعة لتأميم الثقافية ضمن التيار العام الذي يهدف إلى التأميم كمظهر من مظاهر التنظيم الاجتماعي الجديد . وكانت أوضح صورة للتأميم الثقافي هي تلك التي تحققت في الدول التي أخذت بالفلسفة الاشتراكية على نطاق شامل لكل جزئيات الحياة . وقبل أن نتحدث عن التأميم الثقافي في تلك الدول نحب ان نشير إلى أن بعض شروط التأميم الثقافي قد تحققت في المجتمعات القديمة ، على عكس التأميم المادي لمرافق الحياة والثروى لم يتحقق الا في المجتمعات الحديثة مع ميلاد الصناعة وميلاد الفلسفة الاشتراكية كما قلنا . ففي بعض المجتمعات القديمة كانت الثقافة في صورها المختلفة تابعة للدولة تبعية كاملة ، فهي تستمد من الدولة امكانيات البقاء ، وتعتمد عليها في اتجاهاتها المختلفة . في تاريخ الثقافة الاسلامية كثيراً ما كان الخلفاء والسلطات الحاكمة هم المسيطرين على الواقع الثقافي وأصحاب التوجيه الكامل فيه . وكان هؤلاء هم الذين يمثلون ما يمكن أن نسميه بـ « الدولة » وقد كان هذا الوضع مصدراً لكثير من الظواهر التي ينظر اليها النقد العربي الحديث على أنها كانت مصدراً من مصادر جفاف الوجدان المبدع عند العرب في بعض الأحايين واضطرابه في أحايين أخرى . ومثل هذا الوضع كان موجوداً في العصور الوسطى وعصر النهضة في أوروبا ، فقد كان الباباوات والملوك والامراء هم مصدر التوجيه والسيطرة في الثقافة الأوروبية ، اذ كانوا يسيطرون على الأموال العامة ويمثلون الدولة ويستمدون من هذه السلطة ساطة أخرى للسيطرة على الفكر والثقافة سيطرة كاملة . وقد يكون هناك سؤال ينتج عن المقارنة بين وضع الثقافة العربية القديمة والثقافة الأوروبية القديمة ... لماذا لم ينتج العرب فناً كهذا الفن الأوروبي مع تشابه وضعيهما في ظل الدولة ؟ والواقع أن الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى مقارنة متأنية مفصلة ، غير أننا نستطيع أن نشير هنا إلى بعض الفوارق بين تأميم العرب للثقافة وتأميم الأوروبيين لها . فمن الواضح أن السلطة الدينية والسلطة الزمنية كانتا موحدتين في شخص الخليفة العربي ، بينما كانت السلطة الدينية في أوروبا تتمثل في الباباوات والسلطة الزمنية تتمثل في الملوك والأمراء ، وكان الباباوات يعتمدون في سلطتهم على الكنيسة ، وكانت الكنيسة فيما هي رمز ديني مصدراً لنشاط فني كبير ، فقد كانت الرسوم والتماثيل مطلباً اساسياً من مطالب هذا الرمز الديني ، وكانت الموسيقى الى جانب ذلك مطلباً رئيسياً من مطالب المظاهر الدينية في الكنيسة ، أي ان البابا كان يستمد سلطته من « موضوع » خارج عنه ، وفي هذا الموضوع كان مجال رحب واسع للعمل الفني . ولذلك لم تكن مهمة الفنان هي أن « يمدح » البابا أو يعمل على « تمجيده » وحسب ، بل كانت في أساسها تمجيداً للموضوع الذي يستمد البابا منه كل القيمة وهو الدين . ومن هنا ولدت فنون ميكائيل انجلو ودافنشي وباخ وغير ذلك من مظاهر الإبداع الفني التي ارتبطت بالعقيدة حيث كان البابا يمثلها وكان — بدافع منها ونتيجة للسلطة

مصر

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الممنوحة له – يسيطر على توجيه الفنون وألوان الثقافة الأخرى: أما الملوك والأمراء فقد كانوا ينزعون إلى ألوان من الترف ، وكان على رأس هذا الترف الاستمتاع بالفنون والوان الثقافات ، ومن هنا نستطيع أن نفسر اهتمامهم بالمسرح ونجاحه في بعض الفترات المظلمةمن حياة الشعوب الأوروبية كنتيجة لاهتمام الملوك به وعنايتهم بنشاطه وتشجيعه . وبالاضافة إلى هذا كله فإن التراث الأدبي في اوروبا كان غنياً بالأشكال والقيم ، فالأدب اليوناني قد استطاع أن يمنح الثقافة الأوروبية في عهد سيطرة الملوك والباباوات قيماًعميقة وأشكالا رحبة للتعبير . ذلك كان هو الوضع في أوروبا أيام كانت الثقافة تابعة للدولة .

أما في التاريخ العربي فقد كان الخليفة هو الرمز الديني والزمني في آن واحد وكان الدين أكثر موضوعيةوأقل احتياجاً إلى العنوان الذي ارتبط بهفي اوروبا فلم يكن الجامع كالكنيسة في حاجة حتمية إلى الوان معقدة من الفنون كما كان الوضع في اوروبا ، فلا يمكن أن تقام التماثيل في الجامع ، بينما كانت التماثيل تقام وتتعدد في الكنيسة ، ولم يكن الجامع قابلا لأن تقام فيه رسوم ولوحات فنية ، فلقد كانت رسومه صماء تجريدية خالية من الإنسان بسبب الانطباع الذي ثبتت جذوره في أعماق العالم الاسلامى ... ذلك الانطباع الذي يقرن بين تصوير الإنسان والرجعة الى الوثنية ، ولم يكن الجامع أيضاً في حاجة إلى الموسيقى بينما كانت الكنيسة الأوروبية معتمدة على هذا الفن اعتماداً اساسياً حتى لقد احتكرته احتكاراً كاملا خلال فترة طويلة من فترات التاريخ الوجداني لأوروبا وكانت هذه الفترة مصدراً للون خاص من الأبداع الموسيقي العظيم . ولا زال هذا اللون يمثل جزءاً هاماً عميقاً من تراث الإنسانية في الموسيقى ، والضربة الأخيرة التي عطلت التراث العربي في فترة تبعيته للدولة فلم ينتج ما أنتجه التراث الأوروبي من روائع ، هذه الضربة جاءته من التقاليد الموروثة ، فلم يكن الأدب الجاهلي متنوع الأشكال أو الموضوعات بحيث يتسع لإبداع عظيم كذلك الإبداع الذي اتاحته أشكال الفن وموضوعاته عند اليونان . ولقد كان من اعظم التناقضات التاريخية التي تثير الرغبة الطويلة في التأمل والتفكير ما حدث بالنسبة –للعلاقة– بين العالم الاسلامى والجاهلية. لقد قام العالم الاسلامي على رفض اساسي للمثل والأخلاقيات العامة في الجاهلية ، وفي نفس الوقت نرى أن الأدب والفن قد استمدا القيم الكثيرة من الجاهلية واعتمدا عليها اعتماداً بلغ حد العبودية الكاملة في بعض المراحل – ولعل الأمر لايكون من الغرابة والشذوذ كما يوحي أول الأمر ، ولكنه على اي حال كان واقعاً أصاب الثقافة الاسلامية والفن والأدب على وجه الخصوص بالتخلف وقلة التنوع على عكس الثقافة الأوروبية في عهد تبعيتها الكاملة للدولة

ومن هنا نرى أن تأميم الثقافة بمعنى تبعيتها للدولة قد تحقق في المجتمعات القديمة قبل أن يتحقق في المرة الثانية مع بعض النظم الاشتراكية في العصر الحديث ، وذلك على عكس التأميم المادي الذي لم يحدث الا في العصر الحديث ، وقد يكون هناك شيء من التقارب ، بين معنى التأميم ومعنى الاحتكار في وضع الثقافة القديمة ، لأن الشرط الثاني من شروط التأميم لم يتوفر بصورة مقصودة وإنما توفر تلقائياً في بعض الأحايين ، فالتبعية للدولة هي الشرط الأول من شروط التأميم ، والشرط الثاني هوأن تكون هذه التبعية لصالح الشعب ،ولكن الواقع أن الثقافة التابعة للدولة القديمة كانت هي غذاء الشعب بالرغم من أنها لم تنبع مباشرة عن منابعه ، وإنما استمرت وجودها من شروط للحياة وضعها الحكام والمسيطرون . وقد اختارت هذه الثقافات المؤممة التجارب التي عبرت عنها ، ولم يكن في مقدمتها تجارب الشعوب والجماعات ، فهذا التأميم القديم لم يكن يسمح بفرص ميسرة للتعبير عن آلام الجماعات وسخطها وثورتها ضد الحكام ورغبتها في تغيير العالم ، ولهذا فإن تلك الثقافات قد ساهمت مساهمة أساسية في خدمة بعض نظم السلطة الموجودة وإن كانت قد أدت دوراً غير مباشر في نوعية الوجدانات العامة على واقع حياتها .

أما التأميم الثقافي الحديث فقد لجأت إليه المجتمعات الاشتراكية عندما تبينت عن يقين مدى ما تحدثه الثقافة من آثار عميقة في تنظيم المجتمع ، فبعض التيارات الثقافية يساعد على التخريب والتدمير ، وبعضها يساعد على زيادة الوعي والاستقرار . ومع هدف النزعة الإشتراكية في خلق مجتمع آمن سليم ظهرت الرغبة في الحجر على الثقافات المدمرة وتوجيه الجهود إلى خلق ثقافات محددة تعمل على تأكيد العواطف والانفعالات الجديدة التي ينبغي أن تتوفر للكائن الجديد الذي تسعى الإشتراكية إلى خلقه . فالتقليل من سيطرة الدوافع الفردية في داخل الإنسان والعمل على خلق انفعالات خالصة من الانحراف والعقدة التي يخلقها الانتساب إلى مجتمع متحارب متنافس يتصارع الأفراد في داخله صراعاً عنيفاً مريراً من أجل السيطرة والربح بحيث لايصل فرد إلى أهدافه إلا وفي مقابل انتصاره عشرات من المهزومين الذين خسروا أبسط الفرص للحياةالآمنة المطمئنة ... في سبيل هذه الأهداف عملت الدول الإشتراكية على توجيه الثقافة توجيهاً كاملا ، ورسمت حدود الإبداع رسماً مباشراً ليس لأحد أن يتعداه أو يخرج عليه . ولكن التجارب لم تسمح لهذا الوضع نفسه بأن يستمر ، فقد اتجهت الدول التي نزعت هذه النزعة التأميمية في الثقافة إلى فتح أبواب الحرية الإبداع والتفكير في حدود معقولة من يقظة الدولة وقوانينها حتى لاتكون الحرية المطلقة النهائية لوناً من الفوضى يجر متاعب جمة تعود بالإنسان نفسه إلى مراحل متخلفة مظلمة.ولكن الواضح أن هذه الدول قد أخذت تتخلى تدريجياً عن القيود المفروضة حول الإبداع والتفكير ، وشعرت بالخطأ الذي أدت اليه تجربة التأميم الذي فرضته الضرورة من قبل ، وآمنت هذه الدولة في النهاية بأن الحضارات التي لا تثق بالضمير الذي يتوفر ضمناً في الإبداع الإنسانيالسليم ، هذه الحضارات إنما تسعى إلى خلق صور متشابهة متكررة من الناس هي أقرب إلى « الأشياء » منها إلى « الكائنات الإنسانية » ، وهذا الوضع يتناقض تناقضا أساسياً مع الأهداف الإنسانية للنزعات الاشتراكية المختلفة.

من هذا نتبين أن التأميم الثقافي القديم ، كان تأميما حتمياً أنتجه نظام الحياة في تلك العصور ، وهذا التأميم وإن أدى إلى خلق نماذج رائعة من الإبداع الإنساني في صوره المختلفة فقد ساعد في بعض الأحايين على تدعيم أنظمة فاسدة لا تستحق الحياة ، كما ساعد على حرمان الجماعات البشرية المختلفة من ممارسة حقها في الإبداع والتذوق ، وما كان أجدرها بهذا الحق ، وهي التي تمنح الحياة عن نضالها وجهدها الدائمين فتكون العصب الرئيسي للحياة في تلك العصور ، ولم تكن الطبقات المسيطرة باسم الدين أو الدولة لتستطيع أن تحصل على شيء من سلطانها لولا هذا الكفاح الخلاق المناضل الذي كانت الشعوب تقوم به في صبر عبقري واحتمال نادر .

أما التأميم الحديث فقد اكتشف خطأ اتجاهه بنفسه ، وبدأ في تعديل خطته

النشاط الثقافي في الوطن العربي

وتحرير الوجدان الإنساني في شعوبه من شتى القيود ، ولعل ابرز مثال على ذلك هو ما يحدث اليوم في روسيا التي بدأت تسمح بعملية نقد ذاتي شامل في مختلف المجالات ، وعلى رأسها الثقافة ، ولا زالت معركة « ذوبان الجليد » ذات صدى حتى اليوم . فقد بدأ الوجدان هناك يطمح إلى التحرر ويتطلع إلى رؤية مباشرة للعالم من خلال الصدق لا من خلال القيود والحتميات . لقد تغلب الوجدان في البلدان الإشتراكية على الضرورة ، وأصبح ميالا إلى احترام ذاته والاعتماد على مسئوليته الخاصة كما يدركها ويكتشفها بحريته وقدرته على الرؤية والإدراك .

فما هو وضع الثقافة المصرية من هذه الحركة التأميمية ؟ ... إن هناك بعض الدعوات التي كثيراً ما تعلن عن نفسها في صراحة ، وتهدف إلى تأميم الثقافة المصرية وتحويلها في مظاهرها المختلفة إلى تبعية كاملة للدولة ، والاعتماد في ذلك على مجلس الآداب والفنون ، ومصلحة الفنون ، والإذاعة ، وإدارة الثقافة ، وبعض الإدارات الجديدة الأخرى ، والصحف والمجلات المعتمدة على هيئات رسمية .

وهذه النزعة خاطئة دون شك ، وهي تلتمس الطريق إلى تعديل وضعنا الثقافي بخلق أخطاء كثيرة معقدة لا ضرورة لها . فمن الواضح أن المجتمع المصري في كفاحه إنما يهدف إلى خلق نمط اجتماعي جديد مغاير للنمط الإجتماعي القديم الذي كانت الدولة فيه منفصلة عن الشعب ، مسيطرة على واقع حياته من أجل الدفاع عن مصالحها الخاصة دون مصالح الجماعة . فالنمط المنشود في نظام الدولة هو الديمقراطية التي تجعل من الشعب سيد نفسه بواسطة من يختارهم لتمثيله وحكمه ومعاونته على إشاعة الرخاء والإستقرار في داخل مجتمعه . على أن هذا النمط من الديمقراطية كما أثبتت التجارب لم يعد في ذاته مجدياً مالم يعتمد على عناصر أخرى تستطيع أن تخلق مساواة كاملة بين الأفراد ، حتى لاتكون تلك الديمقراطية معتمدة على حرية شكلية لاقيمة لها . فلا بد نتيجة لذلك من إحداث تعديلات أساسية في الواقع الاقتصادي تخلق هذه الفرص المتساوية ... هذه الحرية الحقيقية المنشودة . ولا بد أن تدور هذه التعديلات الاقتصادية في دائرة الأفكار الإشتراكية التي أثبتت صلاحيتها وقوتها وعمقها الإنساني . وحسبنا أن نشير إلى ما سبق أن أشرنا إليه من أن الدولة التي لم تأخذ بالأفكار الإشتراكية في صورتها الكاملة قد اضطرت إلى الاعتماد عليها في محاولاتها لتعديل مجتمعاتها وتنظيمها وخلق الاستقرار والاحساس بالعدالة في نفوس الأفراد . وقد ذكرنا بريطانيا كمثال على هذه الدول الرأسمالية التي اضطرت أن تأخذ ببعض النظم والأفكار الاشتراكية مما يؤكد وجهة النظر التي عرضها المفكر الانجليزي الكبير « ادوار هالت كار » في كتابه « دعائم السلام » ... وهي وجهة النظر التي ترى أن نقطة الارتكاز في حركة القرن العشرين هي « الثورة الاشتراكية » كما كانت نقطة الارتكاز في حركة القرن الماضي هي « الثورة الفرنسية » والواقع أن الفكر الإنساني لم يتفق على شيء كما اتفق الفكر الإنساني المعاصر على هذه القضية التي عرضها « كار » في كتابه .

في وسط هذه الحقائق النظرية التي يشعر الفرد المصري العربي بحاجته إلى تطبيقها والعمل على تحويلها إلى وقائع حية ، لا توجد ضرورة على الإطلاق لتأميم الثقافة وتحويلها إلى حالة التبعية الكاملة للدولة . فالمجتمع المصري ليس مجتمعاً ديموقراطياً اشتراكياً ، وبينه وبين ما ينشده مراحل طويلة من الجهد والكفاح والعمل الدائب . وحسبنا أن نشير في هذا المجال إلى ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر في حديث صحفي له من أننا ما زلنا « مجتمعاً رأسمالياً استغلالياً » وحتى لو وصلنا إلى مرحلة الإشتراكية الكاملة . فقد أثبتت تجارب التأميم الثقافي في العالم الإشتراكي أنها في حاجة إلى التعديل ، وأخذ في التخلص من التأميم وإتاحة الفرصة على نطاق أوسع للعقل والوجدان ، وفشل التأميم الثقافي نتيجة منطقية تؤيده البراهين الواضحة والأدلة القوية .

فاذا كانت نزعة التأميم في الحياة المادية ناجحة ومنطقية فذلك لأنها تتصل بما هو ثابت ومستقر في حياة الإنسان ، تتصل بالبيئة والوسط المادي الذي يعيش فيه الكائن البشري ، وإذا كان تأثير البيئة الإجتماعية والطبيعية خطيراً للغاية بالنسبة للتكوين الإنساني فهو في نفس الوقت أكثر قابلية للثبات والانضباط في قوانين . ومن هنا فان إخضاعه للضوابط الثابتة والقوانين المحدودة طبيعي وضروري في نفس الوقت . وقد لاحظ بعض العلماء الاجتماعيين على ضوء الإحصائيات والتجارب بعض الظواهر التي تدل بشكل حاسم على ثبات الضرورات المادية في حياة الإنسان الاجتماعية ، فقد تبين لهؤلاء العلماء مثلا أن الرخاء لا يعمل على زيادة إقبال الناس على الضرورات كالخبز بل أحياناً يقلل من إقبالهم على هذه الضرورات نفسها ، مما يؤكد أن إقبال الناس على الضرورات له حد أدنى لا يمكن أن يقل عنه بحال من الأحوال مهما كانت مستويات الرخاء بين الزيادة والنقص ، فوضع القوانين هنا مطلوب ولازم لأن إمكان الاستنتاج النهائي متوفر في هذه الجوانب المادية للحياة على ضوء المناهج العلمية المختلفة .

أما الثقافة والفكر ، فحركة دائمة ، وتيار لا يتوقف ولا يعرف الخطوط المستقيمة ولا القرارات النهائية ... أجل ليست الثقافة قرارات نهائية عن العالم بل عمليات تبنى من جديد باستمرار ، فتتغير مرة في بنائها العام وتتغير مرة أخرى في صياغتها وتتغير مرة ثالثة في الاهتمام بقضية دون أخرى كانت أكثر أهمية في السابق .

وعملية التأميم المادية كجزء من خطة عامة لإتاحة الرخاء لأبناء المجتمع ، والقضاء على الخوف والاضطراب في نفوسهم ، هي في ذاتها وسيلة طيبة لخلق فرصة كاملة لإبداع مسؤول وفكر ملتزم أمين . فالحرية ، والقضاء على الفوارق الاقتصادية ، وبناء الشعور بالمسؤولية عن النظام الاجتماعي في داخل الأفراد ، كل هذا يهيء « ظروف » الإبداع في الفكر والثقافة وتحديد اتجاهاته وخطواته المختلفة .

وعلى هذا الأساس فان التأميم ينبغي أن يكون شاملا بالقدر الممكن والوسائل الممكنة ، لكل ما اتصل بظروف الإبداع الفكري والفني ، كالعمل على نشر الاستقرار وإتاحة الفرص المتساوية للجميع ، وكذلك المساعدة على تعديل نظم التعليم في المدارس والجامعات وتهيئتها تهيئة سليمة لأداء وظيفتها الكاملة في الحركة الثقافية . في هذه الجوانب ينبغي أن يمتد التأميم ويسيطر سيطرة كاملة ، فلا تكون هناك عقبات بين الفرد وممارسة إمكانياته وطاقاته المختلفة ، أما الجانب الإبداعي الذي يقوم به أبناء المجتمع كأفراد لهم شخصياتهم الخاصة ومحاولاتهم الذاتية للفهم والتفسير في شكل منه أو فكر ، فليس هناك ما يبرر « التأميم » أو « التجميد » في هذا الجانب من جوانب الإبداع الإنساني في الثقافة بألوانها المختلفة . وهذا التجميد يأخذ صورة تحديد الموضوعات الثقافية واتجاهات التفكير ووسائل هذا التفكير ، ثم فرض هذا كله على الفرد فلا

النشاط الثقافي في الوطن العربي

يستطيع أن يخرج عن هذه الحدود الجامدة ، وهو يشعر على الدوام بوجود لون من الرقابة الداخلية ناتج عن الصراع بين ما يريده هو وما يراه وبين ما يريده « الخارج » وما يراه . وسوف يؤدي به هذا اللون من الرقابة إلى أحد أمرين : إما إلى التوقف والتحجر في موقف آلي ، وأما إلى إبداع فكر متشائم وأدب أسود كنتيجة طبيعية للإحساس بالعجز والضياع ، ووجود أفكار مقررة سبقته قد لا يجدها متفقة مع رؤيته الخاصة للعالم . ومع ذلك فهو يجدها مسيطرة وواقعة.

* * *

يمكن بعد ذلك أن نوجز الأخطار العامة للتأميم الثقافي في مظهرين ، أولها : أن هناك مؤسسات ثقافية نشأت في ظروف معينة لا تعنى بمؤازرة الفكر المصري في أي حركة من حركات تقدمه وتطوره . وينبغي أن تنقد هذه المؤسسات بالسماح بقيام مؤسسات أخرى ضدها ، والمؤسسات الأولى تدعي أنها في خدمة التأميم وتعتمد على رجال الثقافة الرسميين وتطبع وتنشر من أجل « تنشيط الحركة الثقافية » ... والواقع أنها تخدم بذلك كله صالحها الخاص ، وهو إما الربح والكسب ، أو الدعاية لأفكار خاصة . وفي حدود هذين الهدفين تعمل مؤسسات مثل دار الهلال ودار المعارف وفرانكلين وأخبار اليوم وغيرها. ولابد من مواجهة هذه المؤسسات لافي إنتاجها الثقافي وحسب ولكن في الأسس الاقتصادية التي تعتمد عليها في أداء عملها والعلاقات التي تثبتها الوقائع بينها وبين المؤسسات السياسية والتجارية الأجنبية .

أما المظهر الثاني فهو أن التأميم سوف يعمل على تقليل النقد الذاتي للمجتمع من الداخل إن لم يعمل على إلغائه ، وإذا كانت القوانين المادية للحياة ثابتة ويمكن التنبؤ بها واستنتاجها فان التصرف الإنساني غير ثابت ، ومن هنا فان النقد الذاتي ضروري للتطور ولإيجاد ضمانات ضد الانحراف والخطأ . وما دام النمط الاجتماعي ليس جموداً مطلقاً ، وإنما هو حركة دائبة فان النقد الذاتي عامل أساسي يدفع إلى الحركة ويجعلها طبيعية بالقدر الممكن ... فلا يكون هناك سكون وجمود ، ولا تكون هناك حركة خاطئة تؤدي إلى ظلم اجتماعي وتخلف حضاري .

فلتكن وظيفة الدولة مقصورة على تهيئة ظروف الإبداع الفكري والفني دون أن تتدخل في تحديد اتجاهات الثقافة تحديداً حاسماً ، فنحن نرى في هذا الموقف ما يهدد الحياة العقلية والنفسية بأخطار كثيرة ، فينبغي أن تكون وظيفة مجلس الفنون والآداب ومصلحة الفنون والإذاعة وغيرها من المؤسسات الرسمية هي نفس وظيفة الدولة : حماية « ظروف » الإبداع ... تهيئة الوسائل والامكانيات ... فتح منافذ الضوء على انسان حر يبدع كما يحب ، كما يرى ، كما يؤمن ، باختيار قائم على أساس من الاقتناع والفهم .

ولا يمكن أن ننتهي من هذا الموضوع دون أن نؤكد حقيقة هامة هي أن المفهوم العصري للثقافة هو مفهوم مركب يحتوي أساساً مفهوم المسئولية ومفهوم الضمير ، ويحتوي كل الضمانات الإنسانية لخدمة التقدم . ولقد نشأت صور الثقافات التي تدعو الى الفوضى والتحلل وتساعد عليها في ظروف خاصة ، وحدتها الدعايات ، وهي ثقافات تخلو في جوهرها من العمق. أما ما كان منها عميقاً قوياً فإنه لايحمل المعاني التي أريد له من نقاد معينين أن يحملها . فمثلا لم يكن اوسكار وايلد كاتباً منحلا ولا داعية انحلال ، ولكنه كان إنساناً يريد أن يتحرر ويشعر بجمال الحياة في وسط مضطرب قوي مفتقر إلى ضوابط الاستقرار ودعائمه . ولقد استطاع وايلد أن يعكس في التاريخ الأدبي صورة من ذلك الاضطراب كانت لدقتها وروعتها مساهمة هامة في تغيير العالم عن طريق الوعي الوجداني الذي ساهم وايلد في خلقه . وقد أثبتت التجارب التاريخية الملتصقة بنا أن ما شاع عن سارتر من انحلال هو في الحقيقة لون من الدعاية الكاذبة والتفسير الخاطيء المغلوط . لقد وقف سارتر بقلمه يفجر طاقات المقاومة في داخل الإنسان ويساهم في نضال الحياة نحو الاستقرار والتقدم مساهمة عميقة .

إن ضمير الإنسان يكون أكثر ما يكون قدرة وصفاء في حالة الوعي التي تساهم الثقافة في خلقها ، فحرية الثقافة في الحقيقة هي حرية القدرة والصفاء .. حرية الإرادة الأمينة في الإنسان .

فلا تؤمنوا القدرة والصفاء والإرادة الأمينة !

◉ إلى كل إمرأة عربيّة ..
◉ الى كل عائلة عربية ..
◉ الى كل من يتوق الى مجتمع عربي أفضل ..

يقدم سلامه موسى كتابه الجديد :

المرأة ليست لعبة الرجل

الكتاب الذي يتناول بالتحليل وضع المرأة العربية ونظرة المجتمع الانفصالي لها ويشرح اسباب هذه النظرة الخاطئة ، ثم كيف ننهض بمجتمعنا ونجعله مجتمعاً ، لا منفصلاً . فنتخلص من كثير من مساوئنا الإجتماعية والاقتصادية والجنسية .

نشر : الشركة العربية - القاهرة
توزيع : المكتب التجاري - بيروت
الثمن : ١٥٠ قرشاً